المحاضرة الرابعة: الحياة الاقتصادية في مملكة الأشانتي:

في بداية الأمر يمكن تقسيم الحياة الاقتصادية في مملكة الأشانتي إلى فترتين رئيسيتين، الفترة الأولى تمتد من 1695 إلى 1731 وهي فترة حكم الملك 'أوسي توتو' واقتصرت فترة حكمه على انتاج الغذاء والذهب، أما الفترة الثانية فتمتد من 1731 إلى 1750م وهي فترة حكم الملك 'أبوكو وار'، حيث شهدت المملكة في هذه الفترة تطورا أكثر واستغلال للموارد المحلية، مع الحصول على أعداد كبيرة من العبيد نتيجة الضرائب والجزية المروضة على عدة مناطق خارج العاصمة كوماسي.

داخل منطقة الغابات بالأشانتي تم تنظيم اقتصاد الامبراطورية، وهذا في ظل حكم الملك 'أوسي توتو' من خلال استخدام وانتاج الموارد الطبيعية الأساسية للإمبراطورية بفضل الظروف المناخية الاستوائية، والوضع الجغرافي للمنطقة، حيث توجد في الأشانتي معظم الغابات الكثيفة والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، إلى جانب غناها بمادة الذهب.

أ/ نظام انتاج الغذاء:

اعتمد نظام انتاج الغذاء في المرحلة الأولى على انتاج الزراعات المعاشية التي تلبي حاجيات السكان في قوتهم اليومي، وعلى ما يمكن أن يُنتج في منطقة الغابات، حيث تم انتاج المحاصيل الجذرية بشكل كبير باتباع نظام زراعي يلبي حاجيات شعب الأشانتي، ومن أهم ما تم انتاجه هو اليام[1]، والموز، والفاكهة البرية المجمعة، وكان اليام هو المحصول الجذري الأكثر زراعة في المنطقة بسب ملاءمة الظروف المناخية لزراعته، وأهم ما يُؤكل منه هو درناته الصالحة للأكل.

في أوائل القرن الثامن عشر تمت زراعة اليام في جميع أنحاء منطقة غابات الأشانتي، حيث امتد انتاجه من منطقة 'مامبون' إلى المناطق الجنوبية، بما في ذلك أقاليم آكان الخارجية مثل 'الدنكيرا' و'نزيما'، و'أسين'، و'أمانسي'، واختلف مزارعو اليام من منطقة لأخرى، لكن عموما اشتغلت عليه مجموعات صغيرة من شعوب آكان المحلية، وأغلبهم من المهاجرون الأوائل الذين جاؤوا يبحثون في بداية الامر عن الغذاء، فاشتغلوا

---

[1] بات اليام محصول غذائي رئيسي في كثير من الدول الاستوائية و الجزء الصالح للأكل من هذا النبات هو الدرنات، و ينمو هذا الجزء الكبير من ساق النبات تحت الأرض و يخزن الطعام للنبات، و تحتوي الدرنات على كمية كبيرة من النشا و الماء و بعض السكر، و تحتوي بعض الدرنات على السموم التي قد تسبب المرض إذا ما لم تتم إماتتها بالطبخ، و تنتج درنات بعض أنواع اليام البرية مركبات تسمى الصابونين يمكن استخدامها لعمل الكورتيزون أي الهورمون الذي يعالج التهاب المفاصل و بعض الأدوية الأخرى، و تُستخدم كلمة اليام للإشارة إلى درنات اليام، و يصل وزن بعض أنواع درنات اليام إلى أكثر من 45 كجم، كما يبلغ طولها 1,8م، وهناك 600 نوع من اليام، والنوع الطازج منه لونه أبيض أو أصفر، وغالبًا ما يلتَبس نبات اليام بالبطاطا الحلوة، وذلك بسبب إنتاج بعض أنواع البطاطا الحلوة لجذور مختزنة تشبه اليام، ونباتات اليام متسلقة و تحمل سيقانها أزهارًا صغيرة خضراء اللون في شكل عناقيد، وتتطلّب زراعة اليام طقسًا حارًا رطبًا و موسمًا زراعيًا طويلاً، و تتم زراعة ما يقرب من 19 مليون طن متري من اليام للطعام كل عام، وتنتج غرب إفريقيا نصف هذا المحصول،

عليه وأصبحوا أصحاب حرفة فيه، وذلك بمجهودات جماعية؛ أي أن كل أفراد الأسرة تشتغل على انتاج مادة اليام.

وبمرور الوقت أصبح المزارعون الكبار يطبقون نظام السخرة على المدينين لهم بأموال، أو أشياء أخرى عليهم العمل في مزارع أسيادهم، كما تم أيضا الاعتماد على أسرى الحرب الذين يطلق عليهم اسم 'نومين' *(nnoumin)*، والذين تم جلبهم من مختلف الحروف التي خاضتها الأشانتي ضد القبائل الأخرى.

ويتم حصاد انتاج اليام (بطاطا اليام) قبل موسم الأمطار، وكان يمكن أن يصل انتاج اليام في الهكتار الواحد إلى عشرة أطنان، وقد يصل في بعض الأحيان وزن الدرنية الواحدة إلى خمسة عشر 15 كغ، وبعد انتاج المصول السنوي من مختلف مناطق المملكة يعمل رؤساء المقاطعات (الأومانهين) ليقسم على مختلف شرائح المجتمع في الامبراطورية، وفي كل سنة يقام احتفال سنوي خاص بعد حصاد منتوج اليام يعرف بمهرجان 'أدويرا'، حيث تقام احتفاليات وطقوس خاصة بحضور الملك والطبقة الحاكمة.

إن نظام مملكة الأشانتي الاقتصادي والخاص بإنتاج الغذاء كان ذو تنظيم جيد، وموجه خصيصا للاستهلاك المحلي، بحيث تمكن سكان الأشانتي من تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي المحلي في وقت وجيز، مما مكنهم أكثر من تقوية نفوذهم بالمنطقة أكثر.

<u>نظام انتاج الذهب:</u>

أثناء حكم الملك أوسي توتو احتاج انتاج الذهب إلى مجموعات مختلفة من العمال الذين تم توظيفهم للتنقيب عن الذهب واستخراجه باستخدام الاساليب المناسبة لذلك، وكان للذهب الأهمية الكبيرة في تطوير الأنشطة الاقتصادية للأشانتي وفي جميع أنحاء الامبراطورية.

في ثلاثينيات القرن الثامن عشر امتدت مناطق وجود الذهب بالأشانتي من منطقة أمانسي في غرب كوماسي إلى منطقة كواهو، وكان يوجد بالتحديد في كواهو، ودنكيرا، وأدانسي، وواسا التي بها منجم 'تاراكوا' *(Tarakwa)*، وأمانسي التي بها منجم 'مانسو نكوانتا'.

وكانت مصادر الذهب في كل من 'أمانسي' و'دنكيرا' و'واسا' تحت تصرف رئيس الجناح الأيمن للجيش المعروف بـ 'المامبونهين' *(Mamponhene)*، ورئيس الجناح الأيسر المعروف بـ 'أسيمونياهين' *(Asumenyahene)*، بينما تُركت منطقتي 'كواهو' و'أمانسي' لعمال المناجم المحليين الذين وهم مجموعة محدودة من عمال آكان.

لاستخراج وتعدين الذهب استخدم 'المامبونهين' و'الأسومينهين' نفس العمال العبيد الذين استخدموا في انتاج محصول اليام، بينما ساعد أقاربهم عمال المناجم المحليين باستخدام تقنيات ووسائل الانتاج المختلفة، وعملية استخراج الذهب هي عملية صعبة، حيث يعمل العبيد ومختلف العمال على حفر حُفرا سطحية (الحفر الضحل) يطلق عليها اسم 'مموبوا' *(mmoaboa)*، وتتم عملية الحفر السطحي في الأماكن التي يكون فيها الذهب قريبا من السطح باستخدام الأدوات البسيطة الخاصة بالحفر.

وتوجد طريقة أخرى للتنقيب عن الذهب هي البحث عن مناطق التي تسير فيها المياه بعد سقوط الأمطار، بيث يمكن رؤية القطع الذهبية عن طريق أشعة الشمس، كما يمكن الحفر في تلك المناطق التي وجدت فيها القطع الذهبية، وعند الحصول على كومة من التراب تحوي على الذهب تتم إزالة الحصى والرمل حتى يظهر الذهب في شكل غبار، ثم يتم غسله جيدا ليصبح ذهبا خالصا، وأحيانا يعملون على تفتيت الحجارة التي بدورها تحمل قطعا صغيرة من الذهب، ويوضع في وعاء خشبي ويسكب عليها الماء ويستخرج الذهب خالصًا.

وكان توزيع الذهب مشابها تقريبا لتوزيع اليام، كما يقوم الملك بصادرة جميع القطع الكبيرة حتى لا يترك فرصة للمسؤولين والعمال بالاستحواذ عليها، كما يحصل بدوره على نسبة 70 % من الذهب غير المصفى (غبار الذهب) المستخرج من المنطقة الجنوبية.

وبما أن معظم الذهب تقريبا يستحوذ عليه الملك وحاشيته، فقد خصص له صانعين يعملون على صهره وجعله قطع ذهبية بأحجام مختلفة، ولما أصبحت الحاجة ماسة إلى وجود عملية قصد المتاجرة والحصول على بذور اليام وغيرها من المواد الغذائية، فتم تحويل الذهب إلى عملة عن طريق صانعي الذهب تختلف من قطعة إلى أخرى على حسب حجمها، وما يراد شُراؤه بها.

<u>زراعة الكاسافا:</u>

في عام 1731 كان السكان المحليون في منطقة الغابات لا يزالون يزرعون اليام ويستهلكونه، وكان ادخال محصول الكاسافا مشروعا جديدا يوفر غذاء اضافي لسكان الأشانتي، والكسافا أو 'المنيهوت' يشبه إلى حد بعيد نبات اليام كونه من الدرنيات أيضا، وهو كذلك من المحاصيل الجذرية المنتجة للدرنيات ذات الوزن الكبير الذي يصل في بعض الأحيان إلى 15 كغ، ويختلف شكله باختلاف الأصناف والصفات.

تم استخدام المناطق المحيطة بكوماسي ومناطق أخرى من الغابة والتي كانت تستخدم لإنتاج محصول اليام، لكن عموما الكاسافا لم تكن بحاجة إلى أرض جديدة نظيفة وخصبة، وهي تزرع مع بداية موسم الأمطار في الوقت الذي يكون محصول اليام قد نضج تغرس الكاسافا بين صفوفه، واليد العملة التي تشتغل فيه هي نفسها التي تشتغل في زراعة

اليام، كما كان المزارعون الأحرار وبعض العبيد يعملون في الأرض، وتقسم المحاصيل المنتجة بينهم من قبل ملاك الأرض.

وبعد جني المحصول يتم تقسيمه إلى أجزاء مختلفة مشتركة بين العمال والرؤساء المحليين ورؤساء المقاطعات الكبرى (الأومانهين)، وهؤلاء الأخيرين احتفظوا بجزء كبير من محاصيلهم المكتسبة لتقديمها لاحقا للملك خلال مهرجان اليام السنوي *(Odwira)* .

العبيد في مملكة الأشانتي:

داخل البلاط الملكي للأشانتي تم فرض جزية من العبيد على الشعوب المحتلة أو التي تم غزوها في المقاطعات الخارجية؛ أي شعوب 'الجا' *Ga*، وإيوي' *(Ewe)*، و'الغونجا' *(Gonja)*، و'الداغومبا'، حيث اضطروا إلى توفير عدد كبير من العبيد لسلطات الامبراطورية.

تم تحصيل جزية العبيد سنويا من أصحاب مكتب كوماسي، حيث يقدمون أعداد العبيد المحصل عليه إلى الملك أثناء مهرجان 'أدويرا' *(Odwira)*، وذلك لأنه المهرجان الوحيد الذي يجتمع فيه كل مسؤولي الامبراطورية ومن مختلف الجهات، كما كان تقديم العبيد من طرف الرؤساء للملك هو وسيلة لكسب رضى الملك وابقائهم في مناصبهم.

عموما ما يمكن قوله عن اقتصاد الأشانتي في كلتا المرحلتين هو أن التنظيم الاقتصادي للأشانتي في بداية الأمر اقتصر على انتاج محصولي اليام والكاسافا؛ أي كان الاقتصاد مبني على تحقيق الأمن الغذائي للإمبراطورية، لكن مع بداية استخراج الذهب وتوسع مناطقه بدأت تظهر أنظمة تجارية أخرى عملت من جهتها على تحريك عجلة الاقتصاد المحلي بشكل كبير.